

الاتجاه الاصلاحى في الدولة وفق رؤى المدرسة العلوية (النظرية والتطبيق)

اينار نصير دواره العباس / طالب دكتوراه / ايران

المقدمة:

لم تكن الحركة الاصلاحية في الدولة وتغيير اتجاه البوصلة لمسارها الصحيح منحصرأ في النظرية داخل المدرسة العلوية ، بل ان التأريخ اثبت عمق الحركة الاصلاحية التي انطلق بها امير المؤمنين "عليه السلام" ، وبدأت بوادر هذا الاصلاح قبل ان يستلم زمام السلطة وهو ما يعبر عنه اليوم بالمصطلح المعاصر الحراك السياسي ، لكن ميزة هذا الحراك السياسي العلوي ان اهدافه اسمى واجل من كل المبادئ التي يُرفع شعارها اليوم ، انه حراك اصلاحى الهى ، والتعبير عنه بالحراك السياسي هو من باب المسامحة ، ولقرب المفهوم المعاصر للذهن ، بل هو حراك واصلاح على جميع المستويات قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ اِنْ مَكَنَّاهُمْ فِي الْاَرْضِ اَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ ... فاصلاح المدرسة العلوية في الدولة يشمل جميع مفاصلها الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ولم يكن الاصلاح متوقف على عدد التابعين لها ، بل هو قائم بالدرجة الاساس على المقومات الذاتية ان صح التعبير قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اِنْ تَنصَرُوهَا اللَّهُ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ ^(١) ، ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ^(٢) ، و﴿ اِنَّ اِبْرَاهِيمَ كَانَ اُمَّةً ﴾ ^(٣) الكلمات المفتاحية: الحركة الاصلاحية - المدرسة العلوية - ادوار الامام علي "ع" -

سراية الدور الاصلاحى

خطة البحث :

حمل هذا البحث عنوان " الاتجاه الاصلاحى في الدولة وفق رؤى المدرسة العلوية (النظرية والتطبيق) ، وتوزع على اربعة مباحث : المبحث الاول في المباحث التصورية واشتمل على معنى الاصلاح لغة واصطلاحاً ، والاستعمال القرآني له ، اما المبحث الثاني فقد حمل عنوان: الحراك الاصلاحى العلوي ومراحله: وتوزع على مطلبين: المطلب الاول : دور الامام علي "عليه السلام" في زمن تولي الشيخين للسلطة ، والمطلب الثاني في موقف الامام علي "عليه السلام" بعد انتهاء حكم الشيخين ، اما المبحث الثالث

فكان في : الحركة الاصلاحية بعد استلام الحكم ، والمبحث الرابع : سراية الدور الاصلاحى الى المرجعية الدينية ، ثم دوناهم النتائج والتوصيات ، ودوناً المصادر التي تم الاستعانة بها خلال البحث ، فما جاء في البحث من نفع علمي فهو من توفيق الله ولطفه على الباحث ، وما فيه من نقص فهو من عجز الباحث وتقصيره.

المبحث الاول

معنى الاصلاح في اللغة والاصطلاح :

"الإصلاح : نقيض الإفساد"^(٤) ، وجاء في الصحاح : ((الإصلاح ضد الفساد .. ونقل الفراء صلح أيضا بالضم وهذا يصلح لك أي هو من بابتك والصلاح بالكسر مصدر المصالحة والاسم الصلح يذكر ويؤنث وقد اصطلحا وتصالحا واصالحا بتشديد الصاد والاصلاح ضد الافساد والمصلحة واحدة المصالح والاستصلاح ضد الاستفساد))^(٥) وقال ابن منظور : ((صلح : الصَّلَاح : ضدّ الفساد ؛ صَلَحَ يَصْلَحُ وَيَصْلُحُ صَلَاحاً وَصُلُوحاً ؛ وأنشد أبو زيد : فكيفَ بِإِطْرَاقِي إِذَا مَا شَتَمْتَنِي ؟ ❖ وما بعدَ شَتَمِ الْوَالِدَيْنِ صَلُوحُ))^(٦).

((والصَّلَاحُ ، بكسر الصاد : مصدرُ المُصَالَحَةِ ، والعرب تؤنثها ، والاسم الصِّلحُ ، يذكر ويؤنث.

وأصلح ما بينهم وصالحهم مُصَالَحَةٌ وصالحاً ؛ قال بشرُ ابن أبي خازم :
يَسُومُونَ الصَّلَاحَ بِذَاتِ كَهْفٍ ، ❖ وما فيها لهم سَلَعٌ وقارُ))^٧

والإصلاح : التغير إلى استقامة الحال على ما تدعو إليه الحكمة ، ولا يخرج استعمال الفقهاء عن هذا المعنى ، ومن هذا التعريف يتبين أن كلمة (إصلاح) تطلق على ما هو مادي أو على ما هو معنوي ، فيقال : أصلحت العمامة وأصلحت بين المتخاصمين))^(٨).

ويتضح من خلال المعنى اللغوي لمفهوم الاصلاح ومشتقاته أنه يعني إعادة تقويم الشيء واثمام ما يعتره من نقصان يفسد وظيفته. كما يعني هذا المفهوم كذلك السلم والامن وبالتالي فهو عمل غايته اصلاح الامر في اطار السلم ، ويعتبر مفهوم الاصلاح من

المفاهيم المركزية في القرآن الكريم الذي جاء خصيصا لإصلاح ما أفسده أهل الرسالات السابقة بالتحريف، أو اصلاح ما أفسد فطرة الإنسان التي فطره الله عليها^(٩) وعليه فالإصلاح عملية تأخذ بعين الاعتبار الوضع القائم وتنطلق منه بتثبيت الصالح فيه، وتعديل وتقويم الفاسد منه والانتقال به الى وضع جديد افضل. والمتأمل لدعوة الرسل والانبياء صلوات الله عليهم، يجد انهم إنما بعثوا من اجل الاصلاح بما يعنيه من تحسين وترشيد وتجويد وإتمام، فكانت رسالة شعيب عليه السلام على سبيل المثال محصورة في الاصلاح بأداة الحصر والاستثناء "إلا" في قوله تعالى: "إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ"^(١٠).

ويمكن القول : بانه احداث تغيير نوعي في نمط الاستجابة للمؤثرات المحيطة بالفرد او المجتمع سواء كانت المؤثرات داخلية ام خارجية .
ونستطيع القول ان المعنى الاصطلاحي لم يختلف كثيرا عن المعنى اللغوي ، بل جاء في سياقه .

الاصلاح في الاستعمال القرآني:

لقد ورد ذكر هذا المفهوم في موارد كثيرة من القرآن الكريم ، فجاءت كلمة (صلح) ومشتقاتها في القرآن الكريم اكثر من مائة وثمانين مرة ، وهذا ان دل على شيء فهو يدل على اهمية هذا المفهوم ، بل ان الرسالات السماوية قامت من اجل الاصلاح .

جاءت الآيات القرآنية لتؤكد على ان الصالح ما كان موافقا مع فطرة الإنسان ومنسجما مع وجدانه وضميره وعقله والفاسد ما كان تماما على عكس ذلك حيث تقول الآية المباركة ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(١١) فكل ما كان مخالفا لهذه الفطرة فهو بعينه انحراف وفساد، ومن هنا تركز الآيات القرآنية على الإصلاح بجميع أبعاده ومشتقاته وعلى جميع الأصعدة الفردية والاجتماعية وفي مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية، فهل يوجد هناك كتاب تحدث عن الاصلاح كما تحدث عنه القرآن الكريم؟! ، ومن جملة هذه الايات: قال تعالى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالَفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾^(١٢) ، ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ﴿١٣﴾ ، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا
الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٤﴾ .

﴿ نَمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١٥) ،
"وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ" (١٦) لبقرة ٢٢٠ .

"لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ" (١٧) .

((لقد ركز القرآن الكريم على تحرير الإنسان من القيود التي يزرع تحتها معتمدا في ذلك
على تهذيب النفس وتركيتها، ومركزا بشكل كبير على إصلاح المعتقد، وقد سلك في
سبيل ذلك مسلك التخلية ثم التحلية، فبدأ بتحرير العقل من المعتقدات الفاسدة، سواء
كانت أصناما أو أموالا أو أهواء أو غير ذلك، قال عز من قائل : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ
إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ
يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١٨) ، وقال أيضا : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا
لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ
شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ (١٩) ، ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ
وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢٠) ثم عمل على غرس بذور العقيدة
الصحيحة المبنية على العلم، وإعمال العقل، وتربية النفس على عدم الإذعان لغير ما
قام عليه الدليل، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢١) ، ﴿ وَهُوَ
الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ
وَالِيهِ تَحْشَرُونَ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٢٢) . (٢٣)

المبحث الثاني

توطئة:

يعد شعار الإصلاح شعارا متكررا في كل زمان ومكان منذ أن خلق الله سبحانه الإنسان ، والكل
يدعي طلب الإصلاح حتى قوم فرعون ! فقد كانوا يدعون أن مشروع موسى واخيه هارون
ينافي الإصلاح. مستدلين بنحو من البدهة على ما في الآية ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ

مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿٢٤﴾ بمعنى أنه حتى الملائكة من قوم فرعون و فرعون نفسه ينتهي إلى أنه رجل إصلاح مقابل حركة موسى، وهذا هو شعار الطغاة دائماً لا يتغير قبالة كل حركة معارضة أو إصلاح و تصحيح ، والمنافقون في المدينة - أيضاً - عندما انكشف امرهم كانوا يدعون أنهم في مقام طالب الإصلاح، وقد قال الله عنهم ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ (٢٥)

إن مسألة الإصلاح وفي مقابلها الإفساد من البداهة بحيث لا يحتاجان من أجل إدراك رجحان القيمة الأعلى منهما إلى وحي سماوي رباني فبعض المفاهيم يدركها الإنسان بالفطرة، فيعرف - مثلاً - أن الظلم والكذب قبيح، وأن الصدق حسن، وأن الإصلاح مطلوب. ولو دعي الإنسان للاشتراك في عمل إصلاحي فانه بشكل طبيعي و تلقائي سوف يستجيب بالفطرة مسلماً كان أو غيره.

وقيمة الإصلاح هي انه من البديهيات الإنسانية مضافاً إلى ما عندنا من بديهيات دينية وأخلاقية، وإذا رفعت شعارات الإصلاح ومحاربة الفساد والظلم والمطالبة بالحقوق وعمارة الأرض، فانها دعوة يقبلها الكافر والمؤمن على السواء. ولكن لأن الكل يدعي الإصلاح فقد تنطلي الدعوات الزائفة على الكثيرين، لكن نحن الشيعة لا يمكن أن تغرنا بعض المظاهر التي يبدو منها الإصلاح. لأننا محصنون بالولاية، التي جعلتنا ندقق في مسألة كل موقع زعامتي ونراقبه ونلاحظه ، وقد أعطانا اهل البيت عليهم السلام حصانة عقائدية بحيث لا تضيع علينا مثل هذه الشعارات ونحن إذ نبحث في حياة الأئمة الاثني عشر فلكي يبقى إيماننا وعقيدتنا فهم عليهم السلام عقيدة منطقية، وبالرغم مما نعتقد به من عصمتهم نبقي نبحث عن برامجهم الإصلاحية ونتمثلها في كل ابعادها، من هنا فلا يمكن أن نثق فيمن يدعي

ويرفع شعارات الإصلاح بلا محتوى، لعلنا أن فاقد الشيء لا يعطيه ، فإذا كان الإنسان غير صالح في نفسه، و قبل أن يأخذ موقعاً بلا اهلية فكيف يكون صالحاً؟ وكيف يكون عملها صالحاً؟

الحراك الاصلاحى العلوى ومراحله :

لم يكن القيام العلوى مقتصرًا على استلام دفة السلطة التي هي بمنظوره لاقيمة لها ان لم تقربه من الله عز وجل ، لان ابواب الطاعات بعدد انفاس الخلائق وليس كما يُحاول البعض ممن يدعي انتمائه لهذه المدرسة العريقة ان يُسوّق للبسطاء انه لا بد من التثبيت بالسلطة لكي لا يتسلط الاخرون على رقاب المستضعفين!! ، ومن جهة اخرى يسرق قوتهم امام أعينهم ، او على الاقل التخبط وعدم القدرة على التدبير... فالمدرسة العلوية عندما رأت اجماع الامة قائم على تحييدها ، اما طمعاً بسكر السلطة والتسلط على رقاب المستضعفين ، او خوفاً من سطوة الحكام الجائرين ، او حشر مع الناس عيداً ، لم تجبر الناس على بيعتها ولم تستخدم الاساليب التي يسلكها الطامعين للسلطة.

وبما ان ابواب الطاعات والتقرب الى الله تبارك وتعالى كثيرة فالمصلح له اكثر من باب للاصلاح وليس بالضرورة ان يكون الأمر الناهي وكون موقعية امير المؤمنين الحساسة وقربه من رسول الله "صلى الله عليه واله وسلم" فهو اخيه وصنوه وحامل لوائه ، وهو القائل : " ان رسول الله صلى الله عليه وآله علمني ألف باب من العلم يفتح كل باب ألف باب ولم يعلم ذلك أحداً غيري " (٢٦) ، فقد جعل مصلحة الاسلام والحفاظ عليه هي العليا فقال : " لقد علمتم أنني أحق الناس بها من غيري . ووالله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا عليّ خاصة التماساً لأجر ذلك وفضله ، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه " (٢٧) ، مع العلم ان الاستحقاق ليس من وجهة نظر اهل الدنيا فحسب ، بل هي ارادة السماء ان يكون علي "عليه السلام" في هذا الموقع ، ولكن الامة انقلبت على عقبها بعد رحيل الرسول الاكرم "صلى الله عليه واله وسلم" ، فكان الامر استحقاقاً الهياً وهو القائل : ((لو كسرت لي الوسادة ثم جلست عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم والله ما من آية نزلت في بر أو بحر أو سهل أو جبل أو سماء أو أرض أو ليل أو نهار إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وفي أي شيء نزلت)) (٢٨)

و" لما عرض عبد الرحمن بن عوف صفقته على الامام علي (عليه السلام) بشرط أن يعمل بسيرة الشيخين فقال : بل اجتهد برأيي فبايع عثمان بعد أن عرض عليه فقال نعم ، قال علي : ليس هذا بأول يوم تظاهرت فيه علينا ، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون والله ما وليته الامر الا ليرده إليك ، والله كل يوم في شأن " (٢٩) ، ونقل الطبري : " فقال علي حبوته حبو دهر ليس هذا أول يوم تظاهرت فيه علينا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون والله ما وليت عثمان إلا ليرد الامر إليك والله كل يوم هو في شأن فقال عبد الرحمن يا علي لا تجعل على نفسك سبيلا فإني قد نظرت وشاورت الناس فإذا هم لا يعدلون بعثمان فخرج علي وهو يقول سيبلغ الكتاب أجله " (٣٠) .

ونستطيع القول ان هذه المرحلة في سنة ٢٣ هجرية بالذات تعتبر بداية للقيام العلوي بشكل علني ورسمي ، فقد اوضح رؤيته من السياسة الحاكمة آنذاك ، وقد يتصور بعض انه فقط رفض لتولي منصب الخلافة ممن ليس اهلاً له ، والجواب كلا ، فهو رفض لسيرة الشيخين ، واعلانه العمل بكتاب الله وسنة نبيه وهذا يدل دلالة قطعية واضحة على ان سيرة الشيخين مخالفة لكتاب الله وسنة النبي " صلى الله عليه واله وسلم " ، ونستعرض على نحو الاختصار هذا الحراك على مطلبين:

المطلب الاول : دور الامام علي " عليه السلام " في زمن تولي الشيخين للسلطة: عندما نقول بداية القيام والرفض للطخمة الحاكمة لاي يعني ان امير المؤمنين لم يمارس دوره القيادي والتوعوي وتطبيق مبادئ السماء في الفترة المنصرمة ، بل كانت له ادوار كثيرة بعضها مفصلي في حياة الامة والحفاظ على الاسلام ، كذلك توجيه بوصلة الحكم بالاتجاه الصحيح لكي يحافظ على الاسلام وعلى كيان الامة ، حتى انهم كانوا يطمعون ويعلنون عن المواقف المفصلية لامير المؤمنين " عليه السلام " ناهيك عن قول عمر غير مرة : (لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر) وقوله : (لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن) (٣١) " لا ابقاني الله لمعضلة ليس لها ابو الحسن " و " لولا علي لهلك عمر " (٣٢) ، وكان بإمكانه فقط السكوت وعدم ابداء النصيح والمشورة لكي يُعري الغاصبين للخلافة ويفضح عدم تدبيرهم ، فضلا عن الاشارة الى مواطن الخلل عندهم ، لكنه لم يفعل

كل ذلك بل على العكس كان ناصحاً واميناً على تعاليم السماء ، فأين السّياسون اليوم من هذا المنهج العلوي الاسلامي الاصيل ، وهم يدعون وصلاً لبليلى ، الذين شغلوا عن مصالح البلاد والعباد في جمع الادلة على خصومهم والتلويح لهم بها فقط التلويح للحصول على المكاسب الزائلة في قبال جمع الادلة !.

وكان يمارس ادواراً واهتمامات في زمن الخلفاء يمكن ايجازها بما يلي : (٣٣)

أ - العبادة والعبودية لله وبالنحو الذي يليق بشأن شخصية مثل علي - عليه السّلام - وقد وصلت عبادته إلى درجة انّ الإمام السجاد "عليه السّلام" يعتبر عبادته وتهجده الفريد هو لاشيء بالنسبة إلى عبادة جدّه العظيم ، ففي يوم ((كان على بن الحسين عليهما السلام قد جهد في العبادة ما لا يفعله بعده أحد ، فدخل ابنه أبو جعفر محمد الباقر عليهما السلام فراه قد اصفر لونه من السهر والجوع وعمصت عيناه من البكاء ، وصارت جبهته كركبة البعير ، وانخرم أنفه من كثرة السجود ، وورمت ساقاه وقدماه من طول القيام في الصلاة فيقول الباقر عليه السلام: لم أملك نفسي حين رأيته بتلك الحال ، فبكيت رحمته عليه ، وإذا هو يفكر ، فالتفت إلى بعد حينة من دخولي فقال : يا بني أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة جدي أمير المؤمنين عليه السلام ، فأعطيته ، فقرأ فيها شيئاً يسيراً ثم تركها من يده تضجراً وقال : من يطبق عبادته)) (٣٤).

قد يعتبر بعض ان هذا الدور هو من الادوار الشخصية التي يختص بها المعصوم ، لكن الحقيقة ان ما نؤمن به ان فعل المعصوم حجة فعندما يرى اتباعه هذا الدور ينصرف ذهنهم الى الاعداد الروحي والقرب الالهي لانها احد اسباب نشر الرحمة والتمكين في الدنيا والفوز بنعيم الاخرة .

ب - تفسير القرآن ومعالجة غوامض ومشاكل كثيرة من الآيات وتربية تلاميذ من مثل عبد الله بن عباس الذي يعد من أكبر مفسري الإسلام من بين الصحابة.

ج - الإجابة على شبهات وتساؤلات علماء الأديان العالمية لا سيما اليهود والنصارى منهم الذين كانوا يتوافدون إلى المدينة للبحث والاستقصاء حول دين النبي بعد وفاته - صلى الله عليه وآله وسلم - وما كانوا يجدون من يجيب تساؤلاتهم سوى علي "عليه

السَّلام" الذي بدت معرفته بالتوراة والإنجيل واضحة من خلال كلامه معهم، ولولا أن علياً ملاً هذا الفراغ لكان المجتمع الإسلامي يغط في انتكاسة كبيرة. وعندما كان الإمام يقدم أجوبة مفحمة على جميع الشبهات والتساؤلات كان الفرح والإعجاب الكبير يغمران وجوه الخلفاء الجالسين في مكان رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم".

د - بيان الحكم الشرعي للمواضيع المستحدثة والتي لم يكن لها سابقة في الإسلام أو بأن تكون القضية بقدر من التعقيد والغموض بحيث يعجز القضاء عن الحكم فيها، وتشكل هذه النقطة جانباً هاماً من حياة الإمام، فلولم تكن هناك شخصية كالإمام علي "عليه السَّلام" بين الصحابة، تلك الشخصية التي هي أعلم الأمة بشهادة واعتراف الرسول الكريم وأعرفها بأصول القضاء والتحكيم لظلت هناك قضايا كثيرة عالقة من صدر الإسلام بلا حلول، وقد جمع بعض العلماء قسماً منها في كتاب مستقل.

هـ - تربية مجموعة من الذين كانوا يحملون ضميراً حياً وفطرة سليمة وروحاً مستعدة للسلوك الديني حتى يمكنهم الوصول إلى مدارج الكمالات المعنوية العالية والتعرف على ما لا يمكن التعرف عليه بالمعرفة الظاهرية إلا بالرؤية القلبية والعين الباطنية.

و- العمل والسعي لأجل ضمان معيشة شريحة كبيرة من الفقراء والمساكين، وقد وصل الأمر بالإمام إلى أن يغرس الأشجار ويحفر القنوات ثم يوقفها ويجعلها وقفاً في سبيل الله.

ز- عندما كانت الخلافة تصل إلى طريق مسدود في القضايا السياسية وبعض القضايا والمشاكل الأخرى كان الإمام - عليه السَّلام - المستشار الوحيد والمعتمد الذي يعالج المشاكل بموضوعية خاصة مع حلول واضحة، وقد جاءت بعض الاستشارات في نهج البلاغة وكتب التاريخ، ومنها على سبيل المثال كتاب قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السَّلام - من مؤلفات العالم الكبير الشيخ محمد تقي التستري، وكتاب قضاء علي بن أبي طالب - عليه السَّلام - تأليف السيد إسماعيل رسول زاده.

المهم ان الامام علي عليه السلام تعايش مع الاول والثاني، ولم يظهر معارضته العلنية لهما، فقد كان الانحراف في مسيرة الحكومة الإسلامية مستتراً.

المطلب الثاني : موقف الامام علي "عليه السلام" بعد انتهاء حكم الشيخين: ففي فترة حكم عثمان استشرى الفساد ودبّ في أجهزة الدولة بصورة علنية مكشوفة، وانتقلت العدوى إلى فئات المجتمع الإسلامي، فوقف الإمام معلناً رفضه واستنكاره على عثمان بصورة علنية.

وقد برزت معالم الاصلاح والموقف الرافض لهذه الطخمة في مرحلة كان يرى الامام علي "عليه السلام" السكوت في مثل هذا الظرف فيه توهين للمذهب وضياح لمعالمه ، لذلك عندما اشترط عبد الرحمن بن عوف على علي "عليه السلام" المبايعة ((عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفين من بعده))^(٣٥) ، فقال له الامام علي "عليه السلام" : ((إن كتاب الله وسنة نبيه لا يحتاج معهما إلى إجيري (أحد))^(٣٦) ، اجيرى^(٣٧).

وهنا لابد من التوقف على سيرة الشيخين التي رفضها امير المؤمنين "عليه السلام" ، وهي باختصار الاجتهادات التي صدرت منهما في قبال الكتاب والسنة ، والنظرية فيها : ((ان للخليفة بعد بيعته الحق في الاجتهاد في قبال الكتاب والسنة ، وان اجتهاداته تكون ملزمة للخليفة من بعده ، وللخليفة الجديد الحق ان يضيف الى اجتهادات من سبقه))^(٣٨).

ولم يكن هذا الاجتهاد في مورد محدد بل شمل نواحي كثيرة منها : مسائل اجتماعية كتحریم متعة النساء وامضاء التطليقات بلفظ واحد ومجلس واحد وغير ذلك ، ومنها : مسائل ثقافية : من قبيل المنع من نشر حديث النبي "صلى الله عليه واله وسلم" وحرق مذكرات الصحابة فيه ، ومنع السؤال عن تفسير القرآن ، وفسح المجال لعلماء اهل الكتاب الذين اسلموا لنشر قصص الخلق وسير الانبياء المحرفة التي نها عنها النبي "صلى الله عليه واله وسلم" ، ومنها : مسائل سياسية : من قبيل الاعراض عن بيعة المنصوص عليه واقامة الحكم الاسلامي ببيعة خاصة قبل البيعة العامة مع اكراه الاخرين عليها.^(٣٩)

فعندما يرفض المعصوم امراً فسوف تكون نتائجه حتمية لانه لم يرفض شيئاً الاوكان في ذلك مصلحة او دفع للفساد ويمكن لنا أن نجمل طبيعة حكم عثمان وملاحمه فيما يلي:

إن عثمان وصل إلى الحكم وقد تجاوز السبعين عاماً، وكان وصولاً لأرحامه ولوعاً بحبهم وإيثارهم، فقد روي عنه قوله: ((لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيها بني أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم))^(٤٠). كما أن عثمان عاش غنياً مترفاً قبل الإسلام، وظل على غناه في الإسلام، فلم يكن ليتحسس معاناة الفقراء وآلام المحرومين، وقد أقرباه أمور الحكم والسلطة ، ولو سلطنا الضوء قليلاً على عمال عثمان فقد ((قدم على عثمان عمه الحكم بن أبي العاص وابنه مروان وغيرهما من بني أمية - والحكم هو طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي غربه عن المدينة ، ونفاه عن جواره - وكان عماله جماعة منهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط على الكوفة ، وهو ممن أخبر النبي صلى الله عليه واله وسلم أنه من اهل النار ، وعبد الله بن أبي سرح على مصر ، ومعاوية بن أبي سفيان على الشام ، وعبد الله بن عامر على البصرة ، وصرف عن الكوفة الوليد بن عقبة ، وولاهما سعيد ابن العاص))^(٤١).

والسبب في عزل الوليد عن الكوفة هو ان ((الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندمائه ومغنيه من أول الليل الى الصباح ، فلما آذنه المؤذنون بالصلاة خرج متفضلاً في غلائله ، فتقدم الى المحراب في صلاة الصبح ، فصلى بهم أربعاً ، وقال: أتريدون ان أزيدكم ؟ وقيل : إنه قال في سجوده وقد أطل ، اشرب واسقني ، فقال له بعض من كان خلفه في الصف الاول : ما تزيد لا زادك الله من الخير ، والله لا اعجب إلا ممن بعثك إلينا والياً وعلينا أميراً ، وكان هذا القائل عتاب بن عيلان الثقفي ، وخطب الناس الوليد فحصبه الناس بحصباء المسجد ، فدخل قصره يترنح ، ويتمثل بأبيات لتأبط شراً: ^(٤٢)

ولست بعيداً عن مدام وقينه ولا بصفا صلد عن الخير معزل
ولكنني أروي من الخمر هامتي وأمشي الملا بالساحب المتسلسل
وما اشبه هؤلاء باولئك ، فالتاريخ هو التأريخ يُعيد نفسه ، وكان عثمان ضعيفاً أمام مروان بن الحكم، يسمع كلامه وينفذ رغباته، ووالد مروان هو الحكم بن أبي العاص

طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي غربّه عن المدينة ونفاه عن جواره. وأمّا سياسة عثمان المالية فقد كانت امتداداً لسياسة عمر من إيجاد الطبقة وتقديم بعض الناس على بعض في العطاء، إلّا أنّها كانت أكثر فساداً من سياسة سابقه، فقد أثرى بني أمية ثراءً فاحشاً، وحين اعترض عليه خازن بيت المال قال له: ((إنّما أنت خازن لنا، فإذا أعطيناك فخذ وإذا سكتنا عنك فاسكت))^(٤٣).

ومن الأمور التي نستفيد منها أن ضعف الحاكم له عدّة مناشئ، منها: ضعف المبدأ والعقيدة التي يحملها.

فقد يخلو بعض الحكام من العقيدة إلا أنهم عندهم مبدأ يحاولون السير عليه ولذلك هناك كلمة لابن طاووس وهي: ((الكافر العادل خير من المسلم الجائر))^(٤٤)، ومن مناشئ الفساد في الحكم ومحاولة التغطية عليه هو جعله حالة عامة غير مستهجنة، واعطائه صبغة سياسية أو قيادية، وما يسمى بفن الممكن، من قبيل تسويق سوء الإدارة بحجج لها مساس بعقيدة الأمة، فترضى عامة الناس بالمأساة التي هي عليها، حباً بعقيدتها، في حين لم نجد في ابجديات المدرسة العلوية، التأسيس لوجود الملازمة بأن المؤمن أما أن يفقد كرامته أو يحافظ على عقيدته والتزامه، بل أن الاعتقاد وحرية عند علي أن تكون للمؤمن العزة والكبرياء والكرامة والاستقرار على جميع المستويات، فالإسلام لم يأتي إلا لكي يخلص الناس من العبودية والذل لغير الله.

يمكن أن نخلص إلى نتيجتين مهمتين في فشل الحكم وانحرافه ليس فقط عن التعاليم الإسلامية فحسب، بل هو انحراف عن القوانين الإنسانية والعدالة والحرية وحق الحياة وكل ما تبتغيه فطرة الإنسان، وهما: وضع الأشخاص غير المناسبين في المفاصل الحساسة، فضلاً عن كونها محسوبيات. والشيء الآخر والمهم هو إيجاد الطبقة بين أبناء المجتمع الواحد، هذا مهاجري وهذا انصاري، هذا من فئتي واتباعي وهذا ليس منهم.... إلى آخره من المسميات التي لاحقيقة لها بل هي أشياء اعتبارية، ولو فكّر كل شخص تسلّم رأس هرم بمنهج علي في العدالة والمساواة فسوف يحترمه حتى أعداءه، فضلاً عن كونه سيكون على خير.

وهما اهم دعامتين عمل على تغييرهما امير المؤمنين عليه السلام في اولى خطواته الاصلاحية بعدما آلت اليه الامور.

وهذه نقطة فاصلة تمام الفصل بين الانظمة القائمة الآن وبين الاسلام الحقيقي الذي جسده امير المؤمنين عليه السلام، وانها لايمكن ان تلتقي مع النهج العلوي ربما حتى في بعض تفاصيلها، وانما هي انظمة قائمة على الانحرافات التي وضعها الاوائل، واغلب صيحات العدالة والاصلاح هي دعوى من دون دليل، ما دامت لامت الى عدالة علي ومنهجه الاصلاحى بشيء.

وكانت اول هذه البوادر العلوية بعد تسلم عثمان الخلافة هو احياءه "عليه السلام" لفريضة حج التمتع، التي نهى عنها الخليفة الثاني، وتعتبر هذه الخطوة مخالفة صريحة وعلنية للسلطة آنذاك واسقاط لشرعيتها الدينية، وتحدي لها، ولم يأمر علي "عليه السلام" اتباعه ومريديه بالمواجهة مع السلطة ليكونوا في لهواتها بل كان هو قائد ميداني لهذا الاصلاح على جميع المستويات، فقام هو بنفسه ومن تبعه باداء فريضة الحج على سنة النبي "صلى الله عليه واله وسلم" متخلفاً عن قافلة الدولة ومرشديها.

ويمكن ان نفهم من هذه الخطوة الاصلاحية التي ظاهرها انها تمس موضوعاً فقهيّاً مختلف فيه لكنها تستبطن ابعاداً جوهرية في خطى الاصلاح، فنفهم انه لايمكن ان تبدأ باصلاح نظام اداري لإمة ما وهي تنتشر عندها العقائد الزائفة، والانحرافات، ولغة الجهل، والعقل الجمعي، الذي لايمكن عدّه ميزاناً لمعرفة الحق، فلا بد من خطوات اساسية في طريق الاصلاح تبدأ من تصحيح العقيدة ومعالجة الجهل والانحراف لكي تميز الامة بين الحق والباطل، ولذلك فإن حركة الانبياء الاصلاحية اعنف ما واجهته هو المد الجارف والمعارض لها، وسببه هو تزيف الحقائق باعين الناس بحيث لايميزوا بين الدعوة الالهية التي تهدف الى صلاحهم وخدمتهم وبين دعوات الضلال والانحراف.

وهذا ما اشرنا الى جزء منه في الاستعمال القرآني لمفردة الاصلاح فقد ((ركز القرآن الكريم على إصلاح الفرد، وفي صلاح الفرد صلاح للجماعة، وعلى هذين الأساسين يبنى صلاح النظام العمراني، السياسي والاجتماعي، فيحفظ نظام العالم الإسلامي

ويضبط تصرف الجماعات والأقاليم بعضها ببعض على وجه يحفظ مصالح الجميع ويرعى المصالح الكلية للكيان المسلم ويضبط تصرفاته ومعاملاته مع غيره من المجتمعات^(٤٥)

المبحث الثالث

الحركة الإصلاحية بعد استلام الحكم

لم ينفك الإصلاح في المدرسة العلوية عن العمل به ، بمعنى آخر لم يكن هناك فصل بين النظرية والتطبيق وهو السر في تميز هذا الخط الالهي ، والسر في بقاءه غريباً ، كون التطبيق ليس امراً يسيراً ، فهو يحتاج الى مقدمات عدة ، فكثيراً ما نسمع من يتحدث عن الزهد لكنه بعيداً عنه ، وهناك من يتحدث عن الورع لكنه ليس ورعاً ، ومن يتحدث عن العدالة والإصلاح وهو يتحيز الفرص .

وهذا التلازم (بين النظرية والتطبيق) الذي ميز المدرسة العلوية هو على طول الخط ولم يقتصر على المعصوم وهو ما سنلحظه في نواب المعصوم "عليه السلام".
فعندما كان امير المؤمنين "عليه السلام" في مرحلة المعارضة كما يعبر عنه بالمصطلح الحديث اطلعنا على سياسته ، فلم يستخدم سياسة خلط الاوراق كما يفعل اليوم مدعي الوصل بليلى بل كانت سياسته اصلاحية حازمة لا تحتمل التأويل ، وفي نفس الوقت حذرة اشد الحذر للحفاظ على سمعة الاسلام ومسيرته بشكل عام ، وحريصة اشد الحرص على معالم هذه المدرسة الحققة.

ويمكن ان نستعرض جملة من هذه المعالم التي ثبتها امير المؤمنين "عليه السلام" لكل من اراد ان ينتهج نهجاً اصلاحياً على اي مستوى سياسياً او دينياً او غيرها:
اولاً : علي "عليه السلام" يكشف ذمته المالية :

ربما نسمع من هنا وهناك ممن يتولون مقدرات الشعوب انهم ينادون بالكشف عن الذمم المالية كما يسمى بالمصطلح الحديث ، حتى اصبح هذا المصطلح بمثابة الشماعة التي تنفع في الدفع نحو الظهور وجلب انظار البسطاء من ابناء المجتمع ، فضاع الحابل بالنابل ، فنجد من يكشف عن ذمته المالية ، ولكن حاله يُغني عن مقاله ، فتجدهم منعمون

يذخون الاموال ويتحكمون بامور العباد والبلاد وكأنهم منصوبون من قبل الله تبارك وتعالى .

في حين نجد من نصبه الله عز وجل على العكس من ذلك تماماً " روى بكر بن عيسى ، قال : كان علي عليه السلام يقول : يا أهل الكوفة ، إذا أنا خرجت من عندكم بغير راحلتي ، ورحلي وغلامي فلان ، فأنا خائن . فكانت نفقته تأتيه من غلته بالمدينة ينبع ، وكان يطعم الناس منها الخبز واللحم ، ويأكل هو الثريد بالزيت " (٤٦) ، اين المدعين قربهم من علي "عليه السلام" من هذا ، فالذمة المالية وكشفها ليس ادعاء بل لابد من واقع ملموس ، وقد يثار تساؤلا على هذا الكلام ، بأن الكشف عن الذمة المالية لادخل له بما ذكرناه ، وانما هو مجرد اعلان عن ملك الحاكم ، والجواب اننا نتحدث عن شكل الاعلان ومحتواه ففرق بين من يعلن عن امتلاكه العقارات والاموال الطائلة في البلاد وخارجها ، وبين من ملك دولة مترامية الاطراف التي هي اليوم حسب جغرافية العالم مجموعة من الدول ، وهو بهذا الحال امام رعيته ، وهو القائل : " والله لقد رقت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها ، ولقد قال لي قائل ألا تنبذها ؟ فقلت اغرب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى " (٤٧) ، فهل ستكون ثمار الامن المجتمعي في دولة يحكمها علي "عليه السلام" ، كثمارها فيمن يحكمها اللصوص!!.

ثانياً : زهده بالدنيا مع انه قادر على الاستزاده:

وهذه الصفة قلّ نظيرها في التاريخ ، فمن تجبى له الاموال من دولة مترامية الاطراف كيف سيكون حاله ياترى ؟ ، فلو تخيلنا صورة علي "عليه السلام" بمعزل عما نقلته لنا النصوص التاريخية ، حتماً اننا لانتخيل ، بل ولا يخالجننا جزء مما ذكرته تلك النصوص ، حتى لو وضعنا في الحسبان زهده واعراضه عن الدنيا ، فعندما ننظر ونتمعن في تلك الروايات وكيف تصف زهده بالدنيا ، رغم تربعه على عرش الصدارة انذاك ، فأن حاله لا يُحير العقل فحسب ، بل تجد دموعك تنحدر من اللاشعور على طهارة هذا الشخص العظيم ، ويقتلك الشوق الى رؤيته ، فكيف لنا ان نتصور ان حاكما لدولة واسعة وهو يستعين بركبته لكسر الحبز لشدة ييوسته!!.

وكيف لا وهو القائل : " هيهات أن يغلبني هواي ، ويقودني جشعي إلى تخير الأظعمة ، لعل في الحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ، ولا عهد له في الشبع " ((٤٨))
وروى معاوية بن عمار عن جعفر بن محمد عليهما السلام ، قال : ما اعتلج على علي عليه السلام أمران في ذات الله ، إلا أخذ بأشدهما ، ولقد علمتم أنه كان يأكل - يا أهل الكوفة - عندكم من ماله بالمدينة ، وإن كان ليأخذ السويق فيجعله في جراب ، ويختتم عليه مخافة أن يزاد عليه من غيره . ومن كان أزهد في الدنيا من علي عليه السلام! ((٤٩)).

وروى النضر بن منصور ، عن عقبة بن علقمة ، قال : " دخلت على علي عليه السلام ، فإذا بين يديه لبن حامض ، آذنتي حموضته ، وكسر يابسة ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أأأكل مثل هذا ! فقال لي : يا أبا الجنوب ، كان رسول الله يأكل أبيض من هذا ، ويلبس أخشن من هذا ، وأشار إلى ثيابه ، فإن أنا لم آخذ بما آخذ به خفت ألا ألق به " ((٥٠))
، عن سويد بن علقمة ، قال : " دخلت على علي عليه السلام بالكوفة ، فإذا بين يديه قعب لبن أجدر يجه من شدة حموضته ، وفي يده رغيف ، ترى قشار الشعير على وجهه ، وهو يكسره ، ويستعين أحيانا بركبته ، وإذا جاريته فضة قائمة على رأسه ، فقلت : يا فضة ، أما تتقون الله في هذا الشيخ ! ألا نخلتم دقيقه ؟ فقالت : إنا نكره أن نؤجر ويأثم ، نحن قد أخذ علينا ألا ننخل له دقيقا ما صحبناه - قال : وعلي عليه السلام لا يسمع ما تقول ، فالتفت إليها فقال : ما تقولين ؟ قالت : سله ، فقال لي : ما قلت لها ؟ قال : فقلت إني قلت لها : لو نخلتم دقيقه ! فبكى ، ثم قال : بأبي وأمي من لم يشبع ثلاثا متوالية (من) خبز بر حتى فارق الدنيا ، ولم ينخل دقيقه ، قال : يعني رسول الله صلى الله عليه وآله " ((٥١)).

فأين الحكام من هذا الخلق وهذا الجهاد في ذات الله .

ثالثاً : عدم غمض النظر عن غير اللاتقين بالحكم :
فعلي "عليه السلام" لا يوجد في ابجدياته فن الممكن كما يُصطلح عليه في العصر الحديث ، او كما يمارسه الذين يتصدون للسلطة ، ولا يوجد عنده ، السكوت عن الذين يمتلكون اسراره ، فعنده لا توجد اسرار ، فهو يقرأ كتب معاوية امام الرعية ، فلا يطمع المنافقون في ان يجدوا عليه مأخذ .

إن طائفة من أصحاب علي (عليه السلام) مشوا إليه فقالوا : يا أمير المؤمنين ، أعط هذه الأموال ، وفضل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم ، ومن تخاف خلفه من الناس وفراره .

قال : وإنما قالوا له ذلك للذي كان معاوية يصنع من أتاه فقال لهم علي (عليه السلام) : أتأمروني أن أطلب النصر بالجور ؟ ! والله لا أفعل ما طلعت شمس ، وما لاح في السماء نجم . والله ، لو كان ما لهم لي لواسيت بينهم ، فكيف وإنما هي أموالهم ؟ ! قال : ثم أزم طويلاً ساكناً ثم قال : من كان له مال فإياه والفساد ! فإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف ، وهو ذكر لصاحبه في الناس ويضعه عند الله ، ولم يضع رجل ماله في غير حقه وعند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم وكان لغيره ودهم.... " ((٥٢)) .

رابعاً : عدم المجاملة في الحق :

علي "عليه السلام" ديدنه عدم المجاملة على حساب الثوابت ، كما هو معروف اليوم لدى الطبقات السياسية ، التي فيها من التناقضات مافيها وان كانوا ملتفتين الى انها ثوابت ويطلقون عليها الخطوط الحمراء ، لكنها في واقعها هواء في شبك ، فمتى ما وجدوا مصلحة في المجاملة والسكوت على الحق والانصاف بحيث يكون مردوده انفع لبقائهم متربعين على دفة الحكم ، سكتوا وقنطوا ، وان سبب هذه الصفة هو التشبث بالدنيا وحب الزعامة وعدم الايمان بالغيب ، فكثيراً ما نجد اناس كنا نعددهم من المظلومين المضطهدين ، لكن بعد مسكهم زمام الامور والوصول الى مناصب والزعامة تكون حقيقتهم خلاف الماضي ، فنراهم لا يختلفون وحشية وقسوة عن الخوارج ، والدواعش في العصر الحديث فهو مستعد ان يذبح بيده من يخالفه او يجد فيه تهديداً

على مصالحه فهل تغير هؤلاء؟ أم ان حقيقتهم المكونه هي هذه التي برزت بعد تسلمهم زمام الامور ، الجواب ان هذه هي حقيقتهم لكن لم تتوفر العوامل لبروزها ، وقد اشار الشهيد محمد باقر الصدر (قدس) الى هذه الحقيقة عندما طرح تساؤلاً : " هل طرحت علينا دنيا هارون حتى لم نصنع ما صنعه مع موسى الكاظم ؟ " ((٥٣))

في حين نجد علياً "عليه السلام" لا يعير لهذه الامور ادنى اهمية ، بل هي غير داخله في حساباته ، جاء في كتاب الغارات : " شكّا عليّ (عليه السلام) إلى الأشر فرار الناس إلى معاوية ، فقال الأشر : يا أمير المؤمنين ، إنّنا قاتلنا أهل البصرة بأهل البصرة وأهل الكوفة ، والرأي واحد ، وقد اختلفوا بعد ، وتعادوا ، وضعفت النية ، وقلّ العدل ، وأنت تأخذهم بالعدل ، وتعمل فيهم بالحقّ ، وتنصف الوضيع من الشريف ، وليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع ، فضجّت طائفة ممّن معك على الحقّ إذ عمّوا به ، واغتمّوا من العدل إذ صاروا فيه ، وصارت صنائع معاوية عند أهل الغنى والشرف ، فتاقت أنفس الناس إلى الدنيا ، وقلّ من الناس من ليس للدنيا بصاحب ، وأكثرهم من يجتوي الحقّ ويستمرّي الباطل ، ويؤثر الدنيا . فإن تبذل المال يا أمير المؤمنين تمّل إليك أعناق الناس ، وتصف نصيحتهم ، وتستخلص ودهم . صنع الله لك يا أمير المؤمنين ، وكبت عدوك ، وفضّ جمعهم ، وأوهن كيدهم ، وشتّت أمورهم ، إنّّه بما يعملون خبير. " ((٥٤))

فأجابه علي (عليه السلام) ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أمّا ما ذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل ، فإنّ الله يقول : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) وأنا من أن أكون مقصراً فيما ذكرت أخوف وأما ما ذكرت من أن الحقّ ثقل عليهم ففارقونا لذلك ، فقد علم الله أنّهم لم يفارقونا من جور ، ولم يدعوا إذ فارقونا إلى عدل ، ولم يلتمسوا إلّا دنياً زائلة عنهم كأن قد فارقوها ، وليسألنّ يوم القيامة : ألدنيا أرادوا أم لله عملوا ؟ وأما ما ذكرت من بذل الأموال واصطناع الرجال ، فإنّا لا يسعنا أن نؤتي أمرء من الفيء أكثر من حقّه ، وقد قال الله وقوله الحقّ : (كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) وبعث محمداً (صلى الله

عليه وآله) وحده فكثّره بعد القلّة ، وأعزّ فتته بعد الذلّة ، وإن يرد الله أن يولّينا هذا الأمر يذلّ لنا صعبه ، ويسهّل لنا حزنه وأنا قابل من رأيك ما كان لله رضى ، وأنت من آمن أصحابي ، وأوثقهم في نفسي ، وأنصحهم وأراهم عندي^(٥٥).

خامساً : هكذا كان علي "عليه السلام" في فترة الحكم:

قال الامام الصادق "عليه السلام" اذا اتى امير المؤمنين "عليه السلام" ((بيت المال جمع المستحقين ثم ضرب يده بالمال ويقول : يا صفرا ويا بيضا غري غري ، غري غري ، فلا يخرج حتى يفرق المال ويعطى كل ذي حق حقه ، ثم يأمر أن يرش الماء فيه ويكنسه ، ثم يصلى فيه ركعتين ، ثم يقول : يا دنيا أبي تتعرضين؟ أم إلي تتشوقين ؟ فقد طلقتك ثلاثا لا رجعة لي فيك))^(٥٦).

وهذا الموقف من جملة المواقف التي لا يمكن عدّها ، لاحتياج الى تفسير أو تأويل ، فهو دستور لمن طلب رضا الله والنجاح في خدمة عيال الله .

المبحث الرابع

سراية الدور الاصلاحى الى المرجعية الدينية في المدرسة الامامية

هذا الدور الاصلاحى في المدرسة العلوية الذي اسسته السماء وطبقه النبي الخاتم وسار عليه الوصي من بعده ، يسري الى الفقهاء من بعدهم ، لان الفقهاء حصون الاسلام والادلة كثيرة على نيابتهم للمعصوم "عليه السلام" من ذلك ما ورد عن الامام المهدي "عجل الله فرجه" : ((وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا ، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله))^(٥٧) ، وعن الامام الصادق "عليه السلام" : ((فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه ، حافظاً لدينه ، مخالفاً على هواه ، مطيعاً لأمر مولاه ، فللعوام أن يقلدوه))^(٥٨) ، ومما ورد عن ابي عبد الله : ((إياكم أن يخاصم بعضكم بعضاً إلى أهل الجور ، ولكن انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئاً من قضايانا ، فاجعلوه بينكم فإنني قد جعلته قاضياً ، فتحاكموا إليه))^(٥٩)

وذكر العلماء ان للفقهاء ادوار في زمن الغيبة وهي تتوزع على ثلاث مهام :^(٦٠)

الاولى : منصب حجية الفتوى أن فتواه حجة على مقلديه.

الثانية : منصب القضاء قضائه نافذ على الناس.

الثالثة : منصب الولاية ، على الرغم من وجود اراء عند فقهاء الامامية في سعة وضيق دائرة نيابة الامام " عليه السلام " فبعض الفقهاء يرى الولاية خاصة بالأمور النظامية وبعض الفقهاء يرى الولاية عامة مطلقة ، السيد الخوئي مثلاً: كان يرى الولاية خاصة بالأمور النظامية، الإمام الخميني مثلاً يرى الولاية مطلقة عامة هذا اختلاف في سعة الولاية وضيقها المهم ان الجميع يقول بمنصب الولاية.

فدور الفقيه هو حفظ الشريعة دور الفقيه ليس بسيطاً ، دور خطير جداً مكلف بحفظ الشريعة على المستوى التشريعي والتعليمي والتطبيقي .

فعلى المستوى التشريعي : الفقيه مسؤول عن رقابة الفكر طول الوقت ، والفقيه يراقب ما يقال، ما يطرح، ما يتكلم به لماذا؟! حتى يكون حذر على حفظ الشريعة ألا يدخل فيها ليس منها، الفقيه في حال رقابة على الفكر، أي فكر يطرح في هذا القنوات وما يدور فيها، والمواقع وما يدور فيها، كلها تصل إلى الفقهاء أولاً بأول، الفقيه رقيب على ما يطرح وما يقال وما يذكر حتى يقوم بمسؤوليته في حفظ الشريعة من الناحية التشريعية أن يحافظ على أصولها وثواباتها وقطعياتها^(٦١).

فقد ورد عن النبي "صلى الله عليه واله وسلم" : " في كل خلف من أمتي عدل من أهل بيتي ينفي عن هذا الدين تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهل وإن أئمتكم وفدكم إلى الله فانظروا من توفدون في دينكم وصلاتكم"^(٦٢) يعني دوره دور الرقابة

وعلى المستوى العلمي : من قبيل تأسيس الحوزات العلمية التي بدورها تجعل الفكر الامامي متجدد مواكب لتطورات العصر والا اصبح فكراً متجمداً ، فالحوزات العلمية تديره بين فترة وأخرى، فهذا حفظ للفكر الإمامي حفظ تعليمي قال تعالى : ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾

اما على المستوى التطبيقي : ويكون من خلال مراقبة الفقيه لما يدور من احداث على ارض الواقع والافتاء في اتخاذ ما هو صحيح تجاه الحوادث والمتغيرات ، لكي لا يقع عامة لناس في الشكالات الشرعية والشبهات.

من خلال كل هذه المستويات التي يمارسها الفقيه يتبين مدى وحجم الدور الاصلاحى الذي يمارسه نواب الامام "عليه السلام" ، ونقول نواب الامام ، لاننا لانرى ان هناك ثمة فرق في ادوار الفقهاء ، فكل واحد منهم مكمل للآخر ولا يمكن الاستغناء عن جهد فقيه منهم ، او تحييده اعلامياً عن الساحة العملية فمعنى هذا ومؤداه ان الامة سوف تفقد جزءاً مهماً من الفكر ، ونعتقد ان سير الامة بهذا الاتجاه هو جزء من الحرب التي يوجهها اعداء الاسلام الى قلب الامة النابض .

لان ما ثبت اليوم للمسلمين ولاعدائهم ان هبة الامة وصلابتها وتحديها للمصاعب هو بفضل الدور الاصلاحى الذي تقوم به المرجعية الدينية .

خصوصاً في المواقف المفصلية في حياة الامة ، ولم يكن الدور الاصلاحى الذي لعبته المرجعية في حياة الامة مقتصرأ على الدائرة الضيقة او على اتباع المدرسة العلوية ، بل هي مواقف عالمية انسانية كما هو ديدن ال البيت وامير المؤمنين "عليه السلام" بالذات ، فلم يكن عدله وانصافه لاتباعه ومريديه فحسب بل الخلق كلهم سواسية في منهجه.

النتائج

١- عدم وجود التلازم بين الحركات الاصلاحية وبين استلام زمام السلطة ، بل ان ساحات العمل الاصلاحى متنوعه ويمكن للمؤمن ان يجد اكثر من ساحة عمل لخلق الاصلاح والوعى لدى الامة والدفاع عن حقوقها.

٢- لو تكت ساحات العمل ونأى اللحاء بانفسهم عن الواقع ، فهذا يؤدي الى ملء الساحة بما هو موجود سواء من حكام الظلم والجور او من المدعين للعلم والتسديد.

٣- ان دعوى الاصلاح كما اثبتناه من خلال الاستعمال القرآني ، هي سلاح ذو حدين فالكل يرنو الى الاصلاح ، ولانبالغ ان قلنا انها نزعة فطرية ، ولكن علينا ان نميز

صدق الحركات الاصلاحية من خلال عرضها على سيرة وعنفوان الاصلاح امير المؤمنين عليه السلام.

٤- لم يكن النهج الاصلاحى الذي سار عليه امير المؤمنين عليه السلام قائما على خلط الاوراق وتسقيط خصومه ، كما هو معمول به في اروقة السياسة اليوم ، بل هو قائم على حفظ ثوابت الاسلام ، وعرض الاسلام كمشروع متكامل ، وبذلك يُفُتضح كل من سار خلاف ذلك المنهج بمرور الوقت .

٥- في منهج الدولة العلوية اللبنة الاولى في الاصلاح هو تقوية علاقة الامة بالله تبارك وتعالى من خلال الحفاظ على سنة النبي "صلى الله عليه واله وسلم" ، واحياءها بالشكل الصحيح ، لا الترويج لها بشكل مزيف ، او الابتعاد عنها بدعوى التحرر والتجدد وما يسمونه التخلص من الماضي !! .

٦- من اسرار نجاح الحركات الاصلاحية هو الحضور الميداني والتعايش مع معاناة الامة ومشاكلها وهو ما عُبِّر عنه بالنظرية والتطبيق .

٧- اهم اسباب ظهور الحركات الاصلاحية هو وجود الاشخاص غير المناسبين في المفاصل الحساسة ، الذين اهم اسباب فشلهم انهم يؤسسون للطبقية في المجتمع ، ويجعلوها حالة طبيعية صحيحة يجب ان تسود.

٨- سرية الدور الاصلاحى في المدرسة العلوية الى المرجعية الدينية ، وان العلماء العاملين مسيرتهم واحدة وان تعددت افكارهم لان المنهل الذي يغترفون منه واحد ، والدور الاصلاحى في الكيان المرجعي يكتمل باجتماع اطرافه.

٩- لا يمكن ان نشد الاصلاح ونترك الامة تسودها الشبهات الفكرية والعقدية التي يمكن ان نُعبر عنها البنية التحتية للفرد والمجتمع ، لان النتائج المتوخاة سوف تكون ضعيفة حتماً ، من دون الالتفات الى اصلاح هذه الجوانب .

توصية :

من خلال تنامي التحديات التي تواجه الاسلام والهجمة الشرسة التي تشنها الانظمة المعادية لضرب كيان الامة في قلبه النابض ، لابد ان يخرج المسلمون من الموقف الدفاعي

ان صح التعبير ، واستلام زمام المبادرة من خلال الاعداد والتدريب كتأسيس جامعة او اقسام تُعنى بالوعي بمنهج المدرسة العلوية ومواقفها بالتركيز على تفعيل القرآن الكريم ونهج البلاغة وسيرة امير المؤمنين لاسيما في مجالات العلوم السياسية والقانون لتكون لدينا شرائح تحمل هذا الفكر ويكون بيدها زمام المبادرة .

الهوامش:

(١) سورة محمد :٧.

(٢) البقرة :٢٤٩.

(٣) النحل :١٢٠.

(٤) نفسه :٥١٦/٢.

(٥) مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر الرازي ، الوفاة : ٧٢١ ، تحقيق : ضبط وتصحيح : أحمد شمس الدين ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤١٥ - ١٩٩٤ م ، الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان : ١٩٤.

(٦) لسان العرب ، ابن منظور : ٥١٦/٢.

(٧) لسان العرب ، ابن منظور ، الوفاة : ٧١١ ، سنة الطبع : محرم ١٤٠٥ ، الناشر : نشر أدب الحوزة : ٥١٧/٢.

(٨) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ، محمود عبد الرحمن عبد المنعم ، الناشر : دار الفضيلة : ٢٠٤/١.

(٩) تأمل في مفهوم الاصلاح ، مصطفى هطي ، على الرابط :

<https://www.maghress.com/al3omk/85>

(١٠) سورة هود : ٨٨.

(١١) سورة الروم : ٣٠.

(١٢) سورة هود : ٨٨.

(١٣) سورة الحجرات : ٩.

(١٤) الحجرات : ٩.

(١٥) الحجرات : ١٠.

(١٦) البقرة : ٢٢٠.

(١٧) النساء : ١١٤.

- (١٨) الجاثية: ٢٣.
- (١٩) الحج: ٧٣.
- (٢٠) يونس: ١٠٦.
- (٢١) البقرة: ١١١.
- (٢٢) المؤمنون: ٧٨-٨٠.
- (٢٣) الاصلاح في القرآن الكريم – المفهوم والمنهجية ، المحجة العدد / ٢٠٨ ، ٢٠٠٤ ، على الرابط:
/http://almahajjafes.net/٢٠٠٤/٠٢
- (٢٤) الأعراف ١٢٧.
- (٢٥) البقرة ١١
- (٢٦) الخصال ، الشيخ الصدوق ، الوفاة : ٣٨١ ، تحقيق : تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، سنة الطبع : ١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣ - ١٣٦٢ ش ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة : ٥٧٢.
- (٢٧) نهج البلاغة ، خطب الإمام علي (ع)
- الوفاة : ٤٠ ، تحقيق : شرح : الشيخ محمد عبده ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤١٢ - ١٣٧٠ ش ، المطبعة : النهضة - قم ، الناشر : دار الذخائر - قم - ايران : ١/١٢٤.
- (٢٨) المواقف ، الايجي ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤١٧ - ١٩٩٧م ، المطبعة : لبنان - بيروت - دار الجيل ، الناشر : دار الجيل : ٦٢٧/٣.
- (٢٩) بحار الانوار ، المجلسي ،
- (٣٠) تاريخ الطبري ، محمد بن جرير الطبري ، الوفاة : ٣١٠ ، تحقيق : مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء ، الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان: ٢٩٧/٣.
- (٣١) مناقب الخوارزمي : ٩٦-٩٧ ، الحقيقة الضائعة ، الشيخ معتصم سيد احمد ، الطبعة: الأولى ، سنة الطبع : ١٤١٧ ، المطبعة : دار المحجة البيضاء - بيروت ، الناشر : دار المحجة البيضاء - بيروت - لبنان : ٣١١.
- (٣٢) المواقف ، الايجي ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤١٧ - ١٩٩٧م ، المطبعة : لبنان - بيروت - دار الجيل ، الناشر : دار الجيل : ٦٢٧/٣.
- (٣٣) ينظر : سيرة الأئمة عليهم السلام - مهدي البيشوائي ، تعريب : حسين الواسطي ، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام :

- (٣٤) ينابيع المودة لذوي القربى ، القندوزي ، ت ١٢٩٤ ، تحقيق : سيد علي جمال أشرف الحسيني ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤١٦ ، المطبعة : أسوه ، الناشر : دار الأسوة للطباعة والنشر : ١/٤٤٦ .
- (٣٥) تاريخ المدينة ، ابن شبة النميري ، الوفاة : ٢٦٢ ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، سنة الطبع : ١٤١٠ - ١٣٦٨ ش ، المطبعة : القدس - قم ، الناشر : دار الفكر - قم - إيران : ٣ / ٩٣٠ .
- (٣٦) تاريخ اليعقوبي : ١٦٢ / ٢ .
- (٣٧) العادة والطريقة
- (٣٨) الامام الحسن في مواجهة الانشقاق الاموي ، السيد سامي البدري : ٨٤ .
- (٣٩) ينظر : الامام الحسن في مواجهة الانشقاق الاموي ، السيد سامي البدري : ٨٥ .
- (٤٠) تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر ، ت ٥٧١ ، تحقيق : علي شيري ، سنة الطبع : ١٤١٥ ، المطبعة : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ، الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان : ٢٥٢ / ٣٩ .
- (٤١) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المسعودي ، ت ٣٣٦ ، الطبعة : الثانية ، سنة الطبع : ١٤٠٤ - ١٣٦٣ ش - ١٩٨٤ م ، الناشر : منشورات دار الهجرة ايران - قم : ٢ / ٣٣٤ - ٣٣٥ .
- (٤٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المسعودي : ٢ / ٣٣٥ .
- (٤٣) تاريخ اليعقوبي ، الوفاة : ٢٨٤ ، الناشر : دار صادر - بيروت - لبنان : ١٦٨ / ٢ .
- (٤٤) حياة السيد ابن طاووس رضوان الله عليه ❖ ، مركز المصطفى (ص) .
- (٤٥) الاصلاح في القرآن الكريم - المفهوم والمنهجية ، المحجة العدد / ٢٠٨ ، ٢٠٠٤ ، على الرابط : <http://almahajjafes.net/2004/02>
- (٤٦) شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد : ٢ / ٢٠٠ .
- (٤٧) نهج البلاغة ، خطب الامام علي ، تحقيق : شرح : الشيخ محمد عبده ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤١٢ - ١٣٧٠ ش ، المطبعة : النهضة - قم ، الناشر : دار الذخائر - قم - ايران : ٦١ / ٢ .
- (٤٨) الشيعة في الميزان ، محمد جواد مغنية ، الطبعة : الرابعة ، سنة الطبع : ١٣٩٩ - ١٩٧٩ م ، الناشر : دار التعارف للمطبوعات - بيروت - لبنان : ٣٨٨ .
- (٤٩) ينظر : شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد : ٢ / ٢٠١ .
- (٥٠) المصدر نفسه : ٢ / ٢٠١ .
- (٥١) شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد : ٢ / ٢٠١ .
- (٥٢) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي ، الجزء : ٣٤ ، الوفاة : ١١١١ ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤١٣ - ١٩٩٢ م : ٣٤ / ٢٠٩ .

- (٥٣) حب الدنيا ، محاضرة للشهيد الصدر امام طلبة العلوم الدينية في نهاية السبعينيات .
- (٥٤) الغارات ، إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي ، الوفاة : ٢٨٣ ، تحقيق : السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث : ٧١/١ .
- (٥٥) الغارات ، إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي ، الجزء : ١ ، الوفاة : ٢٨٣ ، تحقيق : السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث ، ص : ٧٤ . سنن الإمام علي (ع) ، لجنة الحديث معهد باقر العلوم (ع) ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٣٨٠ ش ، المطبعة : اعتماد ، الناشر : نور السجاد ، ص : ٧٦ .
- (٥٦) ينابيع المودة لذوي القربى ، القندوزي ، ت ١٢٩٤ ، تحقيق : سيد علي جمال أشرف الحسيني ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤١٦ ، المطبعة : أسوه ، الناشر : دار الأسوة للطباعة والنشر : ٤٤٦/١ .
- (٥٧) وسائل لشيعه ، الحر العاملي ، الوفاة : ١١٠٤ ، تحقيق : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ، الطبعة : الثانية ، سنة الطبع : ١٤١٤ ، المطبعة : مهر - قم ، الناشر : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث بقم المشرفة : ١٤٠/٢٧ .
- (٥٨) مستدرک سفینه البحار ، الشيخ علي النمازي الشاهرودي ، الوفاة : ١٤٠٥ ، تحقيق : تحقيق وتصحيح : الشيخ حسن بن علي النمازي ، سنة الطبع : ١٤١٩ ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة : ٢٨٦/٨ .
- (٥٩) السرائر ، ابن إدريس الحلي ، الوفاة : ٥٩٨ ، الطبعة : الثانية ، سنة الطبع : ١٤١٠ ، المطبعة : مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة : ٥٣٩/٣ .
- (٦٠) ينظر : دور المرجعية في عصر الغيبة - السيد منير الخباز - شبكة المنير .
- (٦١) دور المرجعية في عصر الغيبة - السيد منير الخباز - شبكة المنير .
- (٦٢) بحار الانوار ، العلامة المجلسي ، الوفاة : ١١١١ ، تحقيق : محمد الباقر البهبودي ، عبد الرحيم الرباني الشيرازي ، الطبعة : الثانية المصححة ، سنة الطبع : ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م ، الناشر : مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان : ٣٠/٢٣ .